# محـــاورة

تحاور أخوان : كافر ومؤمن ، منكر للبعث ، ومعتقد فى البعث .
والكافر أطغاه غناه ، والمؤمن قانع بما قسم الله .

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾

(الكهف الآيات ٣٢-٣٤)

فقال الكافر لأخيه المؤمن

﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾

(الكهف الآية ٣٤)

واجتمع على هذا الكافر طغيانه ، واعتقاده أن غناه كان عن استحقاق وجدارة ،واعتقاده أن المحظىَّ فى الدنيا محظىٌّ فى الآخرة ، وأن نعيم الدنيا مخلَّدٌ مقيم لا يبيد .

* * *

وأنه لا قيامة ولا بعث ولا ساعة ولا حشر ولا نشر ، وأنه حتى لو كان هناك بعثٌ وحياةٌ أخرى ، بعد الموت ، فإنه سيجد هناك نعيمًا خيرًا من نعيم هذه الدنيا .

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

(الكهف الآيتان ٣٥/٣٦)

* * *

كلامٌ فيه عُتُوٌّ وصلَف وغرور ، يُعمى البصيرة والبصر ، ويُغرى بالمغايظة ،ويجرح إحساس المحروم ، ويتحدَّى حكمة الله الذى يقول :

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(الزخرف الآية ٣٢)

* * *

قال له أخوه المؤمن ، وهو يحاوره ، خائفًا عليه ، حذرا على نعمته أن تزول بسبب كفره : يا أخى ، تذكر أن الله الذى وهب لك هذه الجنة ، وهذا الغنى ، وهذه العُزْوة من الأولاد ، هو الذى خلق أبانا آدم من تراب ، وهو الذى خلقك من نطفة قذرة ، وهو الذى صورك وأنشأك وسوّاك رجلاً غنيًّا وافر الثراء .

أفلا جعلت شكره إيمانا وتقوى وخوفًا من غضبه ؟

أفتجعل الكفر بدل الإيمان ، والتحدّى بدلاً من الحمد والشكران ؟

يا أخى : إن كنت تكفر بالله وتتحداه ، وتتحدى الفقراء من عباده ، فأنا أُشْهِدُكَ وأُشهِدُ نفسى ، على أنه ليس لى ربٌّ سواه ، ولا شريك له فى ملكه ، ولا أحد يتحداه فيما قضاه .

يا أخى : هلا حصنتَ نعمتك بالإيمان ، وعودتها وَحَمَيْتَها بذكر الله ؟ وشكرتَ عليها بتسبيح الله ؟ بأن هذا كله ،مما تراه ، ليس لك فيه يدٌ ولا قوةٌ ، ولا حَوْل .

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾

(الكهف الآية ٣٩)

يا أخى : اتق الله ، ولا تُعَيِّرنى بفقرى ، ولا تتحدانى بغناك .

﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾

(الكهف الآية ٣٩)

فعسى ربى أن يَتَقَبَّلَ منى إيمانى ، ورِضاىَ بما قَسَم لى ، وقناعتى ، وأن ينظر إلىَّ بعين رحمته ، فقد رُضْتُ نفسى على إذعانها لقضائه ، وعلى تحمُّلها لاستفزازك ، وصبرها على أذاك .

وأسأل ربى ، أن يمنحنى رضاه ، ويدخلنى جنته ، وهى خيرٌ من جنتِك هذه التى تُباهينى بها .

* * *

ولعل ربنا ، ينظر إليك بعين غضبه ، فيجزيك بكفرك ، وينزل على جنتك هذه صواعِقَ من السماء ، وسمومَ رياحها ، وهُوجَ عواصِفها وأعاصيرها فتطيحُ بشجرها وثمرها ، وتكتسِحُها ، فتصبح قحلاء جَرْداء ،كالحجر الأجرد الجلمود .

* * *

وليس بعزيز على المنتقم الجبار ، أن يجعل ماءها يَغُور فى جَوف الأرض تبْتلعه فيغِيض ، فلا تستطيع أن تطلبه ،أو تحصل عليه .

* * *

ودعوةُ المظلوم ، ليس بينها وبين الله حجاب ، تطرقُ أبواب السماء فتفزع لها الملائكة ، فيجأرون بالدعاء معه ، فيستجيب الله ، وقد استجاب !

ونزلت النازلة ، وأحاط الغضب الإلهى بجنته وشجرها وعرشها وثمارها ومائها وعزها وخيرها ، فأصبحت خاوية خرابًا يَبابًا .

ورأى الكافر جنته ، وما نزل بها ، فجُنَّ جنُونه ، وطار صوابُه ،

وأصبح يُقلب كفيْه ندما وفجيعة ، وحسرةً وأسفًا وتوبةً تُقبَل أو لا تُقبل .

فما أشبهها بتوبة فرعون حين أدركه الغرق ،فقال له ربه رافضًا توبته :

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

(يونس الآية ٩١)

* * *

ويقول الكافر ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾

(الكهف الآيتان ٤٢/٤٣)

فأين غناه ، وجنّته ، وثمرهُ ،وماؤه ، ونفره وعُزوتُه .

بل أين كُفره وشِركه ،وإنكاره البعث ، وتحدِّيه ، وطُغيانه ؟ .

* * *

لقد ذهب عنه كل أولئك ، ولم يبق إلا وجه الله ، يلقاه ،فيأخذه بما جناه .

* * *

﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

(الكهف الآية ٤٤)

* * *